هل عداءٌ على أمة الإسلام أشد وأنكى من عداء يهود المغضوب عليهم؟

هل عرف المسلمون في تاريخهم أمةً أغدرَ وأحقدَ وأكيدَ من هذه الأمة المرذولة الملعونة في كتب الله، وعلى لسان أنبياء الله؟

لقد كانت سيرة يهود معنا ظلامٌ في ظلام، وأياديهم القذرة ملأى بالجُرم والإجرام، وحسبُنا أن نستعرض صفحةً من عدائهم لنا، صفحةً لا نختلف على شناعتها وبشاعتها، صفحةً تشعَّبَت منها صفحاتٌ وصفحات من الحقد والعداوات، إنها صفحة العداء اليهودي لمقام محمد - صلى الله عليه وسلم.

لقد حدَّثتنا آيات ربنا أن يهود المدينة كانوا على يقينٍ بمبعث آخر الأنبياء، وكانت يهود تتوعَّد قبائل العرب بأنها أول مَنْ يؤمن بهذا النبي المنتظَر، وأنهم سيقتلون المشركين قتل إرمَ وعاد؛ قال تعالى مُبيّنًا حالهم :﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾]البقرة: 89.[

لقد عرفت يهودُ وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - وبَيَّنَت اسمَه ورسمَه بما يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل :﴿ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [البقرة: 146]، فلما بعث الله نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - إلى قومه في مكة كانت يهود تَتسمَّع أخبار هذا النبي وتتشوَّق للقائه.

ويأتي هذا اللقاء، وتحين المقابلة الأولى، يوم أن هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، فتسامع الناس بمجيئه، فتسارعوا وانجفلوا إليه، ولفِظَت يثربُ رجالها ونساءها وأطفالها لاستقبال ورؤية هذا النبي الكريم.

وكان ممن ذهب لرؤيته صلى الله عليه وسلم فور وصوله المدينة حيي بن أخطب

كان حُيَيُّ بن أخطب سيد يهودِ بني النَّضيرِ بالمدينة، وهو أبو أم المؤمنين صفيَّة بنت حُيي - رضي الله عنها - زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان حُيي بن أخطبٍ وأخوه ممَّن عَلِموا صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - لكنَّهما لم يُسلِما عنادًا واستكبارًا.

وتَحكي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - عن ذلك فتقول: "كنتُ أَحَبَّ ولد أبي إليه وإلى عَمِّي أبي ياسر، لم ألقَهُما قطُّ مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه.

فلمَّا قَدِم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، ونزَل قباءَ في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حُييُّ بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغلِّسين؛ أي: ساروا بغَلسٍ، وهو ظُلْمة آخر الليل.

قالت: فلم يَرجِعا حتى كانا مع غروب الشمس، فأتيا كالَّيْنكسلانين ساقطَيْنِ يَمشيان الهُوينى، فهشَشْتُ إليهما كما كنتُ أصنَعُ، فواللهِ ما التفَت إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمِّ.

قالت صفية - رضي الله عنهما -: وسمعتُ عمي أبا ياسرٍ وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب: أهو هو؟ (أي: هل محمد - صلى الله عليه وسلم - هو النبي الذي نَنتظرُهُ، الموجودة بشارته في كتبنا؟)، قال حيي بن أخطب: نعم والله.

قال أبو ياسر :أتعرفه وتُثبِتُه؟

قال حيي بن أخطب: نعم.

قال أبو ياسر :فما في نفسك منه؟

قال حيي بن أخطب: عداوتُه واللهِ ما بقيت."

واليهودُ في كتاب الله

قومٌ بُهت، ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾]المائدة: 42[، ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: 46]، يستمرؤن الكذب والبهتان، حتى على ربِّ العالمين :﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾]آل عمران: 75[، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة: 64]، و﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾]آل عمران: **واليهودُ في كتاب الله: قومٌ عُصاةٌ كفَّار، يعبدونَ العِجل**، قال لهم الله :﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾]البقرة: 93.[

بل إن قلوبهم قد طُبعَ عليها بالكفر عياذًا بالله، ولذلك فهم أقلُ الأممِ دُخولًا في الإسلام، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾]النساء: 155.[

واليهودُ في كتاب الله: قومٌ مجرمون، ﴿ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: 21]،

واليهودُ في كتاب الله: قومُ غدرٍ ومكرٍ، ونقضٍ للعهودِ والمواثيق، ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾]البقرة: 100.[

واليهود في كتاب الله: قومٌ يسارعون في الإثم والعدوان ويتبجحون ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾]النساء: 156، 157[، ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾]النساء: 161.[

واليهودُ في كتاب الله: قومٌ يُشعلون الفتن، ويوقدون الحروب، ويثيرون الأحقاد والعدوات :﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾]المائدة: 64.[

ولنقف مع أحداث ثلاثة لنرى حجمالعداء السافر والمكر الكُبَّار النَّجِس:

الحدث الأول:

ها هو رسولنا - صلى الله عليه وسلم - يسعى جاهدًا يجمع ديةَ رجلين مشركَيْن قتلهما أحدُ المسلمين، جعل المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يجمع هذه الديَة من إخوانه المسلمين ومن أحلافهم، وكان من أحلافهم يهودُ بني النضير.

مشى رسول الهدى إلى ديار بني النضير يطلب منهم العون في قضاء الديَة، وذلك بحسب المعاهدة بين الجميع على النصرة والحِلْف.

دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرض بني النضير مع بعض أصحابه، وحلَّ ضيفًا بين أظهرهم، ولكن هل أكرموا الضيفَ في الدار؟ وهل وفَّوا بالعهد وقاموا بواجب النصرة؟ كلا، كلا..

لقد تحركت في قلوبهم عقارب الخيانة، فأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون، وقالوا: إنكم لن تجدوا محمدًا في ساعة خير من هذه الساعة، ثم اتفقوا أن يغتالوا النبي - صلى الله عليه وسلم ، ففكَّروا وقرَّروا أن يصعد رجلٌ منهم سطح المنزل، فيلقي عليه حجرًا ليرتاحوا منه، فانتدب رجل منهم لهذه المهمة القذرة، وصعد سطح المنزل بصخرة عظيمة ليلقيها على الجسد الشريف، ولكن خبر السماء كان أسرع من رُقِيّ هذا الغادر الخائن.

فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكانه، وانسحب بصمت مظهرًا لأصحابه أنه سيعود إليهم، فلما تباطئه الصحابة قاموا في طلبه، فأدركوه وهو متجهٌ إلى المدينة، فأخبرهم بغدرة يهود، فوقعت في نفوسهم موقعًا عظيمًا، وكانت نهاية هذه المكيدة إجلاء يهود بني النضير من المدينة.

وموقفٌ آخر من مكائد يهود لمقام نبيِّنا - صلى الله عليه وسلم:-

ها هي يهود تتنفس دفائن الحقد، وهي ترى النبي - صلى الله عليه وسلم - قد كَسَر شوكة قريش، وأعداد الداخلين في دين محمد في ازدياد.

فاجتمع رؤوسهم ورؤساؤهم، فدبَّروا مكيدةً للتخلص من النبي - صلى الله عليه وسلم ، مكيدة لا تليق إلا بطبائع يهود، قرَّروا أن يسحروا النبي - صلى الله عليه وسلم ، فهم أهل هذه الصنعة ومحترفيها، تعلَّمَها آباؤهم من الشياطين التي سخَّرها الله مع سليمان :﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾]البقرة: 102.[

وبعد أن اختارت يهود طريقة الإيذاء نظروا وبحثوا عن أسحرهم وأمهرهم، فإذا برجلٍ من يهود بني زُريق يقال له: لُبيد بن الأعصم، أغروه بالمال، ووعدوه بالنوال إن أتمَّ هذه المكيدة.

فأقام عدوُّ الله ستة أشهر يُخطط ويُفكِّر ويُدبِّر عملية السحر، وفي بعض الروايات: أنه أظهر الإسلام حتى يسهُل عليه إتمام المهمة، ويظفَر هذا اليهودي بمشطٍ للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيعقد بها عقدةَ السحر.

ويؤثر هذا السحر في جسد النبي - صلى الله عليه وسلم - لا على عقله وفكره، فأنبياء الله معصومون فيما يبلغون، وإنما كان أثر وتأثير هذا السحر أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يظنُّ ويُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى شكا لعائشة - رضي الله عنها - هذا الظنَّ الذي يعتريه.

وما هي إلا أيام معدودات، إلا والعناية الإلهية تحوط بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فينزل جبريل - عليه السلام - ويُخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكيدة يهود ومكان السحر الذي ألقِي في بئر لبني زُريق.

وجعل جبريل - عليه السلام - يرقي النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمعوذتين، وكان كلما قرأ آيةً انحلَّت عقدة، حتى قام المصطفى - صلى الله عليه وسلم - كأنما نشط من عِقال، وردَّ الله كيد يهود بغيظهم، لم ينالوا خيرًا، وكفى الله نبيَّه شرَّهم.

وموقف آخر من عداء يهود تصغُر دونه كل العداوات:

ها هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخرج من غزوة خيبر منتصرًا مسقِطًا آخر الرايات اليهودية المناوئة له، وأفلَست كل حيل يهود في مواجهة الدعوة الإسلامية، وإطفاء نور الله تعالى عندما مكر اليهود مكرهم، وعند الله مكرُهم، وإن كان مكرُهم لتزول منه الجبال.

لقد قرَّر اليهود قرارًا خطيرًا، ونجحوا في تنفيذه، قرَّروا أن يدُسُّوا السمَّ في طعام النبي - صلى الله عليه وسلم - فعَمَدت امرأةٌ من أشقى اليهود إلى شاةٍ فذبحتها وطبختها وأشربتها السم حتى نقِع فيها، ثم سألت: أيُّ اللحم أحبُّ إلى محمد؟ قالوا: الذِّراع، فعَمَدَت إلى الذراع فأشبَعَتها سُمًّا، ثم دعَت النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - إلى هذه الوليمة، وقدَّمت الشاة بين يديه وأصحابه، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذراع الشاة ورفعها، ثم مضغ مضغةً لم يستسغها، فنطقت حينها الذِّراع بأمر الله.

تكلَّمَت الذراع وهي بين فكيّ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - خوفًا عليه لتخبره بأنها مسمومة، فيرمي النبي - صلى الله عليه وسلم - الذراع، ويأمر أصحابَه برفع أيديهم عن الشاة، وكان أحد أصحابه - وهو بشر بن البراء بن معرور - قد نَهَش منها نهشةً ولم يستسغها، لكن كرِه أن يلفِظها من فِيْه خشية أن يُنغِّص على النبي - صلى الله عليه وسلم - طعامَه.

ويسري السمُّ، ويأخذُ طريقه، فما قام بشر بن البراء من مكانه حتى تغيَّر لونه، وماطله الوجع، ثم توفي بعد ذلك من أثره.

أما نبينا - صلى الله عليه وسلم - فقد حبس الله عنه هذا السمَّ؛ فلم يَسْرِ في عروقه حتى يُكمل الدعوة ويبلِّغ الرسالة، وكان - عليه الصلاة والسلام - يشعر بنغزات هذا السمِّ حينًا بعد حين، حتى إذا أكمل الله الدين، وأتمَّ النعمة - تحرك هذا السم في البدن الشريف؛ فكان - صلى الله عليه وسلم - يقول في مرضه الذي مات فيه: ((مازالت أكلة خيبر تعاودني، فهذا أوان انقطاع أبهري))؛ أي: عروقي.

وهل تظن أن هؤلاء اليهود ستتوقف مكايدهم وسينتهي عداؤهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

كلا والله ، سيظلون أشد أعداء المؤمنين عداوة ومكرًا

-قال الحاخام الأكبر للكيان اليهودي: "إبراهام شابير" في رسالة وجَّهها لمؤتمر شبابي صِهْيَوْني، عقد في "بروكلين"، في الولايات المتحدة: "نريد شبابًا يهوديًّا قويًّا أو شديدًا، نريد شبابًا يهوديًّا يدرك أن رسالته الوحيدة هي تطهير الأرض من المسلمين، الذين يريدون منازعتنا في أرض الميعاد، يجب أن تثبتوا لهم أنكم قادرون على اجتثاثهم منَ الأرض، يجب أن نتخلَّص منهم كما يتم التخلص من الميكروبات والجراثيم."

إن العداء مع اليهود قديم ومازال موجودًا وسيظل حتى يخرج آخرهم مع الدجال

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفاً من اليهود.